مجلة أبوليوس
المجلد 10 العدد 2 – جويلية 2023
الصفحات: 178- 202

أثر السياق غير اللفظي في السمات الأسلوبية لكلام الجن في سورة الجن

The Effect of the Nonlinguistic Context on the Stylistic Features of the Speech of the Jinn in Surat "Al-Jinn"

د. حنان أحمد الفياض*
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر (قطر)
hananfayadh@qu.edu.qa

تاريخ الاستلام: 2023/05/04 تاريخ القبول: 2023/06/15 تاريخ النشر: 2023/08/31

ملخص البحث:

اتسم كلام الجن في سورة الجن بسمات أسلوبية خاصة، وكان للسياق غير اللفظي أو الحالي أثره في هذه السمات. وقد أظهرت هذه الدراسة جوانب هذا التأثير في أسلوبهم من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. ومن سمات أسلوبية الجن في السياق الصوتي: المقاطع الصوتية القصيرة والمتتالية، والعناية بالفواصل المنتهية بالمد الصوتي، وتوافق مواضع النبر والتنغيم مع تحولات السياق المقامي، كما ألقى السياق الحالي بظلاله على البنية الصرفية في الأسماء والأفعال، فتميز كلام الجن ببناء خاص للكلام بما يقتضيه السياق الحالي وتحولاته، وأظهرت التراكيب وما أتبعها من دلالات أبعادا أسلوبية واضحة جاءت منبثقة من السياق الحالي.

الكلمات المفتاحية: السياق، السمات الأسلوبية، الجنّ، الصوت، الصرف، النحو، الدلالة.

Abstract:

Distinctive stylistic features characterize the speech of the jinn in Surah 'Al-Jinn", and the non-verbal or contextual factors have had an impact on these features. This study highlights some aspects of this influence in their style, encompassing phonetic, morphological, grammatical, and semantic aspects. Among the stylistic features of the jinn in the phonetic context are short and consecutive phonetic segments, attention to breaks ending with sound elongation (el-med), and alignment of intonation and rhythm with the contextual shifts. The current context has also overshadowed the morphological structure of nouns and verbs, distinguishing the speech of the jinn with a unique construction that aligns with the current context and its transformations. The structures and their subsequent implications have shown clear stylistic dimensions stemming from the current context.

Keywords: Stylistic features, Al-jinn, phonetics, morphology, syntax, pragmatics

* المؤلف المراسل

المقدمة:

تنطوي سورة الجن على كلام لهم تميّزه خصائص لغوية محددة تحمل سمات أسلوبية واضحة، منها سمات صوتية وصرفية ونحوية، تتكامل فيما بينها لتشكّل أبعادا دلالية مقصودة منبثقة من السياق غير اللفظي الذي انطلق منه كلامهم، وجاءت هذه الدراسة لتحاول إبراز العلاقات التي تربط أسلوب الكلام بسياق الحال.

واختيار كلام الجن تحديدا بسبب أن سياق كلامهم في سورة الجن يشتمل على عدة سياقات حاليّة تتفرّع عن سياق كلي هو الإيمان بالله والخضوع والتسليم المطلق له، وتعدد السياقات الفرعية للوصول إلى هذا السياق في نسق نصيّ واحد، وهو ما يجعل لهذه الدراسة قيمة لغوية؛ حيث تتنوع السياقات الحاليّة في نسق نصي واحد يعبّر عن فكرة كلية.

وعليه فإن الهدف من هذه الدراسة هو بيان أثر السياق غير اللفظي في أسلوب الكلام من جانبه اللغوي من خلال دراسة أسلوب الجنّ وطرحهم لقضيتهم الكبرى، ألا وهي الندم على المعصية والاعتراف بالذنب الذي جاء نتيجة إيمان ويقين ثم تسليم كامل لله رب العالمين.

ومما يجعل أسلوب كلام الجن في سورة الجن مميّزا لمثل هذه الدراسة أن سياق الحال فيها يأتي بعد تحوّل حالي، فهؤلاء الجن آمنوا بعد كفر، وخضعوا بعد تحدٍّ، وتأدبوا بعد تجاوز، وقد تضمن كلامهم كل هذه السياقات الحالية المعبّرة عن تحوّل حالي، وهذا له أبعاده اللغوية التي جعلت لإيقاع كلامهم اللفظي سمات أسلوبية خاصة تستحق الوقوف عندها والنظر فيها.

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن الدراسات التي سبقت هذه الدراسة دراسات اهتمت بتناول جانب أسلوبي واحد أو جانبين من سورة الجن كاملة[1]، وليس كلام الجن وحده، في حين تَفصل هذه الدراسة خطاب الجن عن بقية السورة، وهو ما يجعل البحث أكثر اختصاصا وتدقيقا في أسلوب خطابهم، كما تركز هذه الدراسة على العلاقة بين السياق غير اللفظي وانعكاساته على أسلوب كلامهم وأبعاد ذلك معنويا، في حين ركزت الدراسات الأخرى على أسلوبية الخطاب القرآني في السورة بأكملها، دون نظر في سياق حال الجن تحديدا وتحولاته، ثم انعكاس تلك التحوّلات على لغة كلامهم.

وقد أفدنا من كل هذه الدراسات، واطلعنا عليها غير أن هذه الدراسة تختص بدراسة كلام الجن تحديدا في السورة وعلاقته بالسياق الحالي، ثم انعكاس هذه العلاقة على الأسلوب العام لكلامهم، متبعين المنهج التحليلي.

وأسلوب كلام الجن في هذه الآيات جاء بصبغة شكلية واحدة، ويتشكل هذا الأسلوب وفق حاجة السياق العام لكلامهم؛ حيث تتفرع منه سياقات فرعية تدل عليه. وحتى يمكننا توضيح السمات الأسلوبية لكلام الجن فإننا تناولنا بيان خصائص كلامهم في مستويات اللغة الأربعة.

وبناء عليه فإن هذه الدراسة ستكون مبنية على مبحثين:

الأول نظري يتحدث عن السياق وأشكاله، وأهمية السياق غير اللفظي في الدراسات الأسلوبية، وحديث عام عن سورة الجن.

والثاني تطبيقي يهتم بتحليل السمات الأسلوبية في كلام الجن محاولين من خلالها بيان أثر السياق غير اللفظي في أسلوب كلامهم.

المبحث الأول: مفهوم السياق وأنواعه

مفهوم السياق:

السياق في أصل معناه اللغوي من السوق، ويعني التتابع؛ فالمتكلم يجعل كلامه يتبع بعضه بعضا[2]، ولا يخرج الدارسون من القديم والحديث عن هذا المعنى، ولكنهم ينظرون إلى تفصيلات من زوايا متعددة تجعل تعاريفهم تتمايز بقدر النظر إلى الجزئيات التي يتطرقون إليها، فعبد القاهر يرى أن "الألفاظَ المفردةَ التي هي أوضاعُ اللغةِ، لم تُوضَعْ لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضُها إلى بعض، فيُعرفَ فيما بينها فوائدُ. وهذا علِمٌ شريفٌ وأَصْلٌ عظيم"[3]، فالسياق نظم لفظي للكلمة وتحديد لموقعها من ذلك النظم[4]، "ومعظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة وحدات أخرى ... ومعاني الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"[5]، فالسياق يتركب دائما من وحدتين متتاليتين فأكثر ... والكلمة إذا وقعت في سياق ما "لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق، ولما هو لاحق بها، أو لكليهما معا"[6].

ومع هذا التتابع تتسع التعريفات إلى ما يحيط بالكلام من ظروف محيطة، "ولا يزال السياق حتى بعد هذا المعنى اللفظي بحاجة إلى "معنى المقام" أي المعنى الاجتماعي الذي يضم القرائن الحالية إلى ما في السياق من قرائن مقالية، وبهذا يتم الوصول إلى المعنى الدلالي"[7]، فالمقام "حصيلة الظروف الواردة، طبيعية كانت أو اجتماعية أو غير ذلك، في الوقت الذي تم فيه أداء المقال"[8].

والظروف المحيطة بالكلمة أو الجملة هي حصيلة استعمال الكلام، فمعنى الكلمة "مجموع استعمالاتها"[9]، وهذا الاستعمال يحكمه السياق اللغوي نفسه وسياق الموقف الذي يؤدي وظيفة مهمة في تحديد المعنى[10].

أنواعه:

السياق نوعان: لغوي وغير لغوي، فالسياق اللغوي هو "البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة"[11]، وهو "نص تذكر فيه الكلمة"[12]، وإطار داخلي للغة دون الرجوع إلى المجتمع. ويضم السياق اللغوي الصوت الذي يضم فونيمات ووحدات صوتية تأخذ في الكلام المتصل صورا مختلفة بحسب السياق الصوتي الذي يشمل القرائن الصوتية كالنبر والتنغيم والفصل والوصل والحركات وغيرها من الظواهر التي تحدد معنى الجملة بدقة[13].

كما يشمل السياق اللغوي الصرف الذي لا يدرس الصيغ والعلامات منفردة، بل ملتصقة في الكلمات من خلال سياق معين يؤدي دلالة معينة، ويشمل النحو الذي يذكر التركيبات متتابعة لِتصير الكلمات في نظم تركيبي مفيد.

وأما السياق غير اللغوي فيشمل الجانب الثقافي والنفسي والعاطفي، وكل هذا يتضافر مع بعضه ليكون السياق العام، ولا يمكن استنباط السياق غير الملفوظ دون الرجوع إلى المستوى الملحوظ المتمثل في السياقات الصوتية والصرفية والنحوية[14].

سياق سورة الجن

المدخل الطبيعي لدراسة أسلوب كلام الجن هو أن نفهم أولا السياق العام للسورة وهيكلها البنيوي وموقع كلام الجن من السورة، ونلخص ذلك في النقاط التالية:

أولا: مناسبة نزول السورة

سورة الجن من القرآن المكي، ونزلت بعد الأعراف، وهذا النزول لا نعدم أن نجد فيه ترابطا سياقيا، فسياق سورة الأعراف حديث عن صراع آدم مع إبليس مع نصائح لبني آدم بعدم اتباع خطوات الشيطان، وإعطاء نماذج من الأمم السابقة التي أغواها الشيطان وكفرت بربها، وموعظة الأنبياء لهم، وتصحح أوهام الاعتقاد عند الذين اتبعوا الشيطان وكانوا من الغاوين، أما سورة الجن فإنها تسير في طور هذا التصحيح الاعتقادي، فتبين حقيقة عالم الجن، وتزيل ما تأشب في عقول الناس من أساطير بنيت في أخيلتهم، وتناولوها في أحاديثهم وأشعارهم.

وسورة الأعراف في مجملها تتحدث عن وحدانية الله ومقام الألوهية، وهو نفس الغرض الذي تتحدث عنه سورة الجن.

كما أن سورة الأعراف تؤكد أن الذين يتعلقون بغير الله إنما يتعلقون بعباد أمثالهم، وأن النافع والضار هو الله تعالى، وهذا ما تؤكد عليه سورة الجن؛ حيث تبدد مخاوف عالم الإنس من هذا العالم الذي بث الرعب في نفوس كثير منهم، فيأتي حديث الجن ليبين كثيرا مما خفي من عالم الغيب ليصوره في عالم الشهادة.

ثانيا: مناسبة ترتيب السورة

سورة الجن أتت بعد سورة نوح، والمناسبة في هذا الترتيب "أنه لما حكي تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام، وكان عليه السلام أول رسول إلى الأرض كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسول إلى الأرض، والعرب الذين هو منهم كانوا عباد أصنام كقوم نوح .... وأن العرب تباطأت في الاستجابة للرسول، أنزل الله تعالى سورة الجن تبكيتا لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان إذ كانت الجن خيرا منهم، هذا وهم من غير جنس الرسول -صلى الله عليه وسلم"[15].

ثالثا: سياق نزول سورة الجن

تتعدد الروايات في أسباب نزول آيات سورة الجن، وهي روايات تتفاوت في درجة صحتها، فأعلاها رواية البخاري من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهي تفيد أن الجن استمعت على الحقيقة إلى القرآن الكريم[16].

رابعا: المعنى العام لكلام الجن

يمكننا أن نقسم السورة إلى محورين: الأول فيه عن كلام الجن، والثاني تعليق على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحدي الكفار له، ومحاولتهم الإضرار به عليه الصلاة والسلام.

وبما أن البحث مختص بكلام الجن فسنحاول أن نعرض مجمل كلامهم؛ حيث إنهم وصفوا القرآن بأنه عجيب يهدي إلى الرشاد، وأنهم استجابوا لدعوته، فآمنوا بالله وحده لا شريك له، ثم يذكرون طرفا من معتقداتهم الباطلة؛ حيث أطلقوا على إبليس صفة "السفيه" الذي كان يذكر من صفات الله تعالى ما لا يليق

به سبحانه[17]، ولاعتقادهم أن إبليس من الجن مثلهم فقد ظنوا أن الجن لا يكذب على الله، وهذا اعتقاد خاطئ لم يسلم منه الإنس الذين كانوا يعوذون ويلتجئون إلى الجن، فما زاد اتباع الإنس للجن إلا رهقا، ومن اكتمال سوء ظن الإنس بالجن ألا بعث بعد الموت، وكان اعتقادا خاطئا للجن قبل أن يعلنوا إسلامهم، وتتحدث السورة على لسان الجن أنهم كانوا يسترقون السمع من السماء، ولكنهم وجدوها مليئة بالحراس من الملائكة وبالشهب التي تحرقهم، وقيل إن الحراسة زادت وقت مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ حتى تمنع من تسلل الشياطين الذين كانوا يتخذون مقاعد للسمع، لكن الله جعل الرجم لهؤلاء الشياطين.

ويُقرّ الجن في صيغة السؤال أنهم لا يعلمون الغيب، وأنهم لا يدرون من الذي سيصيبه الشر ومن الذي سيدركه الخير، وفي هذا تفنيد لما شاع وذاع عنهم بأنهم قادرون على الضر والنفع.

ومن جملة اعترافات الجن أنهم يصفون أنفسهم بأن منهم الصالحين ومنهم دون ذلك، فهم في طرائق مختلفة ومتنوعة، وتختم اعترافاتهم بأنهم ظنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وأنهم لن يهربوا من الله تعالى، ولذا لما سمعوا الهدى من الرسول صلى الله عليه وسلم آمنوا به، وهو قرار وصفوه بأنه رابح لا بخس فيه ولا تعب، ويشير الجن إلى أن الرسالة المحمدية قد وصلت عالم الجن، كما وصلت عالم الإنس، وهذه الرسالة مِن الجن مَن استقبلها بقبول حسن أسلم، ومن أعرض عن هذه الرسالة من الجن فقد كفر، شأنهم في ذلك شأن الإنس. وإلى هنا ينتهي كلام الجن[18].

خامسا: الترتيب السياقي لكلام الجن

أما الترتيب السياقي في كلام الجن فإنه إقرار واعتراف وتفنيد وتوضيح:

1. إقرار بأنهم سمعوا بلاغ القرآن، وجواب بأنهم استجابوا له.
2. اعتراف بما كانوا عليه من أباطيل.
3. تفنيد لتصورات الإنس عن عالم الجن.
4. توضيح أن عالم الجن منه المسلم والكافر.

سادسا: الوصف اللغوي العام لكلام الجن

استغرق كلام الجن في السورة خمس عشرة آية من مجموع ثمان وعشرين، أي أخذ أكثر من 50% من الآيات، وفي هذه الآيات نلاحظ ما يأتي:

- أطول آية بلغ عدد كلماتها أربع عشرة كلمة، بينما تكوّنت أقصر آية من خمس كلمات، ثم تأتي الآيات بعد ذلك ما بين ثلاث عشرة كلمة وسبع كلمات، فالآيات التي عدد كلماته ثلاثة عشر هي: 1، 9، 10، والآيات التي عدد كلماتها أحد عشر أرقامها: 6، 12، أما الآيات التي عدد كلماتها عشرة فأرقامها: 5، 14، والآيات التي عدد كلماتها تسع هي 2، 3، 11، ولا توجد إلا آية واحدة عدد كلماتها ثمان كلمات. وبناء على ما سبق نستطيع أن نقول إن متوسط عدد كلمات الآية في كلام الجن حوالي سبع كلمات تقريبا.
- أما طول الكلمات في كلام الجن فأكبر كلمة كانت حروفها تسعة، وهي: (الصَّالحون = ال ص ص ا ل ح و ن).

- وعند الانتقال إلى مستوى الجملة والنص، فإننا نرى أن كلام الجن مَثَّل جملة واحدة متشابكة مترابطة بوسائل ربط متنوعة، فبداية الجملة تبدأ بالتوكيد (إنّا) ثم الفعل الماضي الدال على ثبوت الحدث، ثم إسناد الماضي إلى (نا) التي تفيد بوصول رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى عالم الجن، ثم يأتي المفعول به (قرآنا) نكرة موصوفة بالمصدر (عجبا)، ولم تأت معرفة لأنهم كانوا يجهلون هذا القرآن، فهو غير معروف لديهم، ثم تأتي جملة (يهدي إلى الرشد) نعتا ثانيا للقرآن ... وهكذا تتوالى الجمل المعطوفة التي يأخذ بعضها بحجز بعض لتصل بروابط لفظية ومعنوية حتى نهاية الآية الخامسة عشرة، وفي داخل هذه الجملة الطويلة التي تمثل نصا بحد ذاتها نرى وسائل متعددة لطول بناء الجملة، منها إطالة بناء الجملة بالمقيدات الاسمية والفعلية، والمقيدات الاسمية تتمثل في (إنّ) وأخواتها وكان وأخواتها، بينما المقيدات الفعلية هي المفاعيل والجار والمجرور والتمييز والحال، وكذلك إطالة بناء الجملة بالتعاقب، ومعنى التعاقب أن تحل الجملة أو شبه الجملة محل المفرد، وتطول الجملة أيضا بالترتب، ومعناه أن تترتب جملة على أخرى، ويكون ذلك في القسم والشرط، وهناك الطول بالتوابع كالعطف والنعت والبدل وعطف البيان[19]، ومن أمثلة الجمل الطويلة في كلام الجن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَال مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَال مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقا﴾ [الجن ٦]، فالجملة بدأت بمقيد اسمي (أنَّه) ثم جاء الضمير اسما، وكانت الجملة (كان رجال ... رهقا) في محل رفع خبر، فتكون الجملة طالت بالتعاقب، وأبرز وسيلة لإطالة بناء الجملة في كلام الجن تمثلت في طول التبعية متمثلا في النعت والعطف الذي كان الوسيلة التي جعلت كلام الجن كله جملة واحدة مثلت نصا كاملا.

ونلاحظ في كلام الجن أنه بدأ الجمل والآيات بكسر همزة (إنّ) في رواية حفص عن عاصم التي اعتمد البحث عليها، وفي كسر همزة (إنّ) وفتحها بسورة الجن اختلف القراء على فريقين: الأول يرى أنها مفتوحة عطفا على الضمير المجرور في (آمنا به)، أي: وآمنا بأنه تعالى جد ربنا، وعدم إعادة الجار مع المعطوف على المجرور، وهناك فريق آخر كسر همزة (إنّ) على أنها معطوفة على قوله تعالى: (إنَّا سمعنا)[20]، ويعلق الزمخشري على هذا المتغير الشكلي فيقول: "(أنه استمع) بالفتح؛ لأنه فاعل (أُوحي)، أي نائب الفاعل، و(إنا سمعنا) بالكسر لأنه مَحكيّ بعد القول، ثم تُحمل عليهما البواقي ... فما كان من الوحي فُتح، وما كان من الجن كُسر"[21].

المبحث الثاني: السياق غير اللفظي وأثره في السمات الأسلوبية لكلام الجن

كما أشرنا في المدخل النظري، فإن السياق لفظي يشمل الصوت والصرف والنحو، وغير لفظي يشمل الثقافة والجانب النفسي والاجتماعي، والمستويان يدرسان معا، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وهو ما سندرسه على النحو التالي:

المطلب الأول: السياق الصوتي

تتكون الكلمة من حروف، وكل حرف يتكون من فونيمين، صوت الحرف وحركته، ليظهر عندنا الصوامت، وهو صوت الحرف في مقابل الصائت الذي يمثل الحركة، ثم تتآلف هذه الفونيمات لتكون مقاطع، "ويطلق العلماء على الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة الصوت المقطعي الأولي، وهو أصغر وحدة صوتية"[22].

وهناك عناصر تصاحب الصوت تسمى الفونيمات فوق التركيبية، وتتمثل في النبر والتنغيم، بالإضافة لما يصاحب الصوت من لغة للجسد أو انفعال الضحك والبكاء والتعجب والدهشة وغيرها[23].

ولكل صوت سمات تميزه بملامح كامنة فيه، وهذه الملامح تسمى في علم الأصوات بصفات الحروف التي تتمثل في الجهر والهمس والتفخيم والترقيق والشدة والرخاوة والصفير والإذلاق والإصمات، وهي صفات لا تكاد آية في القرآن تخلو منها، ولكن كثرة ترداد بعضها في سياق هو الذي تكون له دلالات، وهذه صفات يمكن رصدها وعدّها، لكن هناك صفات غير لفظية "تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة، فمثل تأثيرها في وجدان السامع مثل النغمة الموسيقية تطرب لها، ثم لا تستطيع أن تقول لم طربت ... ومنها الإيقاع والفاصلة والحكاية والمناسبة وحسن التأليف"[24].

وسنتناول من الظواهر السابقة الجهر والهمس لبروزهما بوصفهما صفة أسلوبية لكلام الجن بشكل واضح تأثرا بالسياق غير اللفظي، ثم سنتناول الخصائص الصوتية المميّزة لمواضع الكلام المهمة، وهي مواضع الفواصل والعتبات وتحوّلات الحالة الكلاميّة.

أولا: الجهر والهمس في السياق الصوتي

الجهر والهمس من الصفات المتضادة، والصوت المجهور هو الذي تهتز معه الأوتار الصوتية، وعكسه الصوت المهموس لا تهتز معه الأوتار الصوتية[25].

والأصوات المجهورة هي (الباء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والطاء والعين والغين والقاف واللام والميم والنون بالإضافة إلى نصفي الحركة الواو والياء)، وأما الأصوات المهموسة فهي: (التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والفاء والكاف والهاء)[26]، وأما صوت الهمزة فهو محايد ليس بمهموز ولا مجهور[27]. والجدول التالي نرصد فيه نسبة الأصوات المجهورة والمهموسة في كلام الجن:

الأصوات المهموسة	عددها	الأصوات المجهورة	عددها
ت	8	ب	20
ث	1	ج	12
ح	8	د	23
خ	3	ر	25
س	16	ز	3
ش	9	ط	6
ص	3	غ	--
ف	15	ق	13
ك	10	ل	56
ه	28	م	38
		ن	76
		و	39

		ي	17
المجموع	**101**		**268**

تحليل نتائج الأصوات المجهورة والمهموسة في كلام الجن

1- يلاحظ أن الأصوات المجهورة ضعف الأصوات المهموسة في كلام الجن بأكثر من مرة ونصف، وهذا من أثر السياق غير اللفظي على السمات الأسلوبية الصوتية، فسياق الحال سياق تمكن وقوة منبثق من الحالة الإيمانية المؤكدة التي لا يداخلها شك، وهذا انعكس على طبيعة الكلام في شقه الصوتي.

2- أكثر الأصوات المجهورة النون واللام والميم، وأقلها الغين التي خلا كلام الجن منها، والغين من الحروف الحلقية، وهو صوت يحتاج إلى جهد في نطقه، ومعه تزول طبيعة الخفاء الذي تتميز به الجن في كلامها، أما النون واللام والميم فهي حروف ذلقية، ويكثر دورانها على اللسان، واللام حرف مجهور أصلا وبدلا وزائدا حسب وصف ابن جني[28]، وفيه من القوة والفخامة والعلو ما يجعل من كلام المتكلم عظيما كبيرا، وربما من أجل هذا كان هو المكون الرئيسي للفظ الجلالة (الله).

ثانيا: السياق الصوتي في الفواصل

الفاصلة القرآنية ليست صوتا فحسب أو معادلا صوتيا لموسيقى الشعر، إنما هي تنحو بالنص منحى أبعد من ذلك بكثير؛ لأن "الفاصلة في حد ذاتها إحكام لما قد سبقها من الكلام في الآية ... فتجد جمال الأسلوب وقوة العبارة في كل آية من آيات القرآن تحكمها الفواصل مسببة جمال الإيقاع الذي يهز الوجدان، ويدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى"[29].

والسياق الصوتي في الفاصلة القرآنية بسورة (الجن) تميّز بظواهر صوتية، منها:

1- مد العوض؛ حيث الوقوف على نهاية الكلمة المنونة بالفتح، وهذه الكلمات: (**عجبا - أحدا - ولدا - شططا- كذبا - رهقا -شهبا - رصدا - رشدا - قددا - هربا**) فاصلة تنتهي بألف المد، وهو ليس من بنية الكلمة؛ لأنه لا يظهر إلا في حالة النصب فقط، ومن ثم سنعتمد على الحرف الذي قبله، لنجد أن هذه الفاصلة لم تخرج عن حروف (**الباء والدال والطاء والقاف**). ففي كلام الجن أربع فواصل ترتيبها حسب المخرج من القاف التي هي حرف لهوي، ثم الدال والطاء، وهما من الحروف النطعية، ثم الباء التي تخرج من الشفتين.

2- تتميز فواصل سورة الجن بقصرها مثل: (عجبا – أحدا -شططا – رهقا)، وهذه من الفواصل التي يصفها البديعيون بالمتوازية والمتوازنة، فالمتوازية أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع، والمتوازنة أن تتفق الكلمتان في الوزن فقط[30]، ونستطيع أن نقول: إن كل فاصلة متوازية هي متوازنة، وليس العكس، وبناء على ذلك فكل فواصل سورة الجن متوازنة، وفاصلة الدال فيها متوازية، والتوزاي يصفه الزركشي بقوله: "وَأَشْرَفُهَا الْمُتَوَازِي، وَهُوَ أَنْ تَتَّفِقَ الْكَلِمَتَانِ فِي الْوَزْنِ وَحُرُوفِ السَّجْعِ"[31].

3- أتت الفواصل للدال والباء والقاف والطاء مصحوبة بمد العوض، وهو مد أنتج لنا مقاطع مفتوحة، وهذه المقاطع إما أن تكون قصيرة مفتوحة أو طويلة مفتوحة، وقد أسست لتلك الفاصلة كلمة (عجبا)،

وعليها انسحبت جميع الفواصل الأخرى، ويمثل التفصيل الآتي شرحا للفاصلة القرآنية في مقابل مقطعها الصوتي.

(عجبا)

عَ: ص ح = قصير مفتوح

جَ: ص ح = قصير مفتوح

با: ص ح ح = طويل مفتوح

(أحدا)

أَ: ص ح = قصير مفتوح

حَ: ص ح = قصير مفتوح

دا: ص ح ح = طويل مفتوح

(ولدا)

وَ: ص ح = قصير مفتوح

لَ: ص ح = قصير مفتوح

دا: ص ح ح = طويل مفتوح

شططا:

شَ: ص ح = قصير مفتوح

طَ: ص ح = قصير مفتوح

طا: ص ح ح = طويل مفتوح

كذبا:

كَ: ص ح = قصير مفتوح

ذِ: ص ح = قصير مفتوح

با: ص ح ح = طويل مفتوح

(رهقا)

رَ: ص ح = قصير مفتوح

هَ: ص ح = قصير مفتوح

قا: ص ح ح = طويل مفتوح

(شُهُبا)

شُ: ص ح = قصير مفتوح

هُ: ص ح = قصير مفتوح

با: ص ح ح = طويل مفتوح

((رصدا)

رَ: ص ح = قصير مفتوح

صَ: ص ح = قصير مفتوح

دا: ص ح ح = طويل مفتوح

(رشدا)

رَ: ص ح = قصير مفتوح

شَ: ص ح = قصير مفتوح

دا: ص ح ح = طويل مفتوح

(قددا)

قِ: ص ح = قصير مفتوح

دَ: ص ح = قصير مفتوح

دا: ص ح ح = طويل مفتوح

(هربا)

هَ: ص ح = قصير مفتوح

رَ: ص ح = قصير مفتوح

با: ص ح ح = طويل مفتوح

(حطبا)

حَ: ص ح = قصير مفتوح

طَ: ص ح = قصير مفتوح

با: ص ح ح = طويل مفتوح

وبالنظر للصوت الصادر من هذه الفواصل ذات المقطع القصير المفتوح والطويل المفتوح فإننا نجدها تمثّل انسجاما تاما بين الحالة الكلامية والصوتية، فالدهشة ثم الإيمان السريع ثم الندم والتوبة كلها متطلبات حاليّة تتوافق مع إيقاع تلك الفواصل التي اتسمت بالمد الصوتي والصوت السريع من خلال مقاطع قصيرة، وليس بخافٍ أثر المد الصوتي في السياقات الحالية المتنوعة، كما أنّ المقاطع القصيرة تتوافق مع حالات الدهشة والانفعال والاستجابة السريعة، حيث يظل الفم مفتوحا؛ لدهشة ما سمعه من سورة تتميز بأنها "قطعة موسيقية مطردة الإيقاع، قوية التنغيم، ظاهرة الرنين، مع صبغة من الحزن في إيقاعها ومسحة من الأسى في تنغيمها، وطائف من الشجى في رنينها"[(32)].

وإذا تأملنا هذا المقطع الذي ينتهي بالمد، فإننا نرى أنه يجري على سنن العربية، "فالعرب إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو؛ لأنهم أرادوا مد الصوت ... وقد جاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع"[(33)].

ثالثا: السياق الصوتي في العتبات

مصطلح "العتبات" يعد جديدا في الدراسات النقدية التي اهتمت بالعنوان والإهداء والمقدمة وغير ذلك من الأمور التي تعد عتبة أو بوابة يستطيع المتلقي أن يمر من خلالها إلى داخل النص، ونحن في بحثنا

نستخدم المصطلح للبحث في بدايات الجمل التي ذكرها الجن؛ حيث تمثل هذه البدايات عتبات نصية تحتاج إلى تأمل ودراسة[34].

وعتبات الآيات التي جاء فيها حديث الجن جاءت بإيقاعات صوتية مشحونة بالنبر والمد الصوتي، من خلال استخدام الحرف المؤكد (إنّ) و(أنّ) متصلين بـ (نا) الفاعلين، وقد أحدث هذا التوالي للنونات "نبرا موسيقيا" حيث الضغط على مقدمة الحرف، وهو ما أحدث جرسا صوتيا إيقاعيا مكررا في غالب عتبات كلام الجن، ولهذا الصوت دلالة قصدية تنبثق من السياقات غير اللفظية، وهي الحالة الانفعالية لكلام الجن التي سبقت الإشارة إليها، فالنبر في عتبات الآيات يحقق القيم النطقية والوظيفية التي تحدث عنها اللغويون في وظيفة النبر وقيمته الفنية، "فهو من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، يميز مقطعا من آخر، أو كلمة من كلمة أخرى. أما من الناحية الوظيفية فإن النبر يقود إلى تعرف التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد عند تنوع درجات نبرها ومواقعه؛ بسبب ما يلحقها من تصريفات مختلفة"[35]، "والنبر بهذا المعنى ملمح من ملامح الكلمة، أو هو عنصر من عناصرها التي تميزها من غيرها، وتحيلها كلا متكاملا من حيث البناء والطلاء ... وهو تطريز لا يعني مجرد التجويد والتزيين، وإنما يعني -بالإضافة إلى ذلك- أنه عنصر يكسب الكلمة تكاملها ويمنحها قواما متميزا خاصا بها، الأمر الذي يجعل من الكلمة وحدة متكاملة متسقة البناء والطلاء معا"[36].

رابعا: السياق الصوتي في تحولات الحالة الكلاميّة

في كلام الجن تنوع في سياق الحال، فكلامهم يشمل وصف حالة الإيمان بعد الكفر، وحالة الهدى بعد الضلال، وحالة التوبة بعد العصيان، وقد تأثر السياق الصوتي بهذه التحولات الحالية، ويمكن التمثيل لذلك من خلال النظر في آيتين تمثلان شاهدا على تأثر الصوت بحسب الحالة، الأولى وردت في بداية كلامهم، والثانية وردت في متن كلامهم، وقد تشابهت الآيتان في السمات الصوتية، فأما الأولى ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبا يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدَا﴾ [الجن 1-2] والثانية: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسا وَلَا رَهَقَا﴾ [الجن ١٣]. وسمات التحول الصوتي في هاتين الآيتين ما يأتي:

1- صوت الهمس

من الأصوات المهموسة التي توحي بالتحول السياقي صوتا السين والهاء، فأما صوت السين فجاء في الفعل الذي ورد في الآيتين سببا للإيمان (سمعنا) يدل على التنبيه الرقيق، حيث إنهم سمعوا الهدى، وآمنوا عقب سماعهم مباشرة، ولما كانت الهداية من الأمور التي تحتاج إلى رقة فإن صوت السين هو الأنسب لها لما فيه من ضعف، يقول ابن جني: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ... وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره"[37]، ثم يسوق أمثلة، منها السين التي خصتها العربية بأنه صوت ضعيف، فيقول: "خصت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين"[38].

وأما صوت الهاء فهو حلقي ضعيف يحتاج إلى قوة في الهواء تدفعه، هذه القوة يحس فيها المتكلم بالراحة، فعندما يقولون: (سمعنا) بما فيها من همس السين، ثم تأتي بعدها (يهدي) خارجة من أعماق

النفس، وتوحي بتفريغ انفعالي صوتي يتناغم مع هذا التحول من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهدى، وهذا التفريغ الانفعالي المصاحب بتنهيدة لا يكون إلا بنفس عميق، وهذا يجعل صوت الهاء أكثر مناسبة لهذا التحول، فكما تضعف النفس أمام هذه الهداية وتستقبلها براحة فإن الهاء الضعيفة هي الأكثر مناسبة لها، يقول الخليل بن أحمد: "ولم يكن في الحروف أهش من الهاء لأن الهاء نَفَس"[39].

2- المد الصوتي

المد الصوتي الذي تضفيه (نا) الفاعلين تحمل بعدا دلاليا يشير إلى صوت الجماعة واتفاقهم على هذا الإعجاب بالقرآن، وهذا المد هو الأكثر تكرارا في السورة، لأن كلام الجن في السورة جاء صوتا جمعيا موحدا يشير إلى حالة اهتداء واحدة للجميع.

3- النبر والتنغيم

يظهر ذلك في فعل (فآمنّا) الوارد في فعل الاستجابة، فيظهر هذا الفعل بتشكيله الصوتي نبرا وتنغيما ومدّا، ما يعطي صوتا خاصا لهذا الفعل في موطن الاستجابة، حيث يمثل هذا الفعل بداية التحوّل في السياق الحالي، ولأهمية موضع الاستجابة نلحظ أن التشكلات الصوتية المتنوعة تجمعت في كلمة واحدة تمثل مرتكزا دلاليا مهما في السياق الحالي في كلام الجن.

المطلب الثاني: السياق الصرفي في كلام الجن

تغلب على البنية الصرفية سمات أسلوبية منها ما هو متعلق بالاسم، ومنها ما هو متعلق بالفعل.

أولا: الخصائص الصرفية لبنية الأسماء

يعد المصدر هو أبرز الصيغ التي وردت في كلام الجن، ومن أمثلة المصادر في كلام الجن بسورة الجن: عجبا / شططا / رصدا / رشدا / هربا.

وفي التعبير بالمصدر دلالات لا يتوصل إليها من غيره، ولعل من أهم خصائص المصدر أنه يخلص المعنى للاسمية، فهو "الاسم الذي يدل على الحدث مجردا من الزمن والشخص والمكان"[40]، وهذا يمنح المعاني الثبات والتمكين؛ فدلالة القوة تنسجم مع كلام الجن الذي جاء في مجمله خطابا ثابتا مكينا قويا، ينبعث كلامهم من نور الهداية والإيمان بالله، فالمصدر (عجبا) اختير ليكون وصفا للقرآن، ولم تأت صيغة صرفية أخرى كأن يقول: (سمعنا قرآنا عجيبا) مثلا؛ لأن المصدر من صيغة الفعل (فَعَلَ)، وهو من أخف الأبنية، ولهذا وضعوه للنعوت اللازمة والأعراض والألوان، واستعملوه في جميع المعاني[41]، فوصف القرآن بالعجب لازمة لا تنفك عنه، وهذا للتمكين في المبالغة، جاء في البحر المحيط: "(عجبا) وصف بالمصدر على سبيل المبالغة، أي هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أسلوبه ومواعظه، وكونه مباينا لسائر الكتب، والعجب ما خرج عن أحد أشكاله ونظائره"[42].

ويمنح استخدام المصدر (شططا) بعدا آخر في المبالغة السلبية، أي المبالغة في الافتراء، فالشطط معناه الغلو في الكفر لأبعد حد، وهو الجور والكذب[43]، وهنا يأتي الموقف مناسبا لوصف حال الشيطان الذي وصفته الجن بالسفيه، (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا)، فمع وصفه بالسفه جاء ما يقوله أبعد ما يكون في الكذب والافتراء، والشطط من الفعل (شَطَطَ)، وهو من الأوزان التي تأتي للنعوت اللازمة، فقول

إبليس دائما به شطط وغلو وافتراء، ولذا كانت هذه الصيغة ذات تأثير دلالي في سياق الحالة الكلاميّة؛ إذ يعترفون بالخطيئة من خلال ذمهم المخالف إبليس ووصفه بالسفه.

ومن المصادر التي استخدمت في كلام الجن (**رصدا**) في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن ٩]، من (فَعَل) بمعنى (مفعول) كالخبَط والنقَض[44]، وقيل إنه مصدر بمعنى (فاعل)، فهو رصد بمعنى راصد، أو بمعنى مرصود، فالمعنى على الفاعلية: أن الملائكة راصدون للجن، يرجمونهم بالكواكب عندما يسترقون السمع، وعلى المفعولية: أن هؤلاء الجن مرصودة حركاتهم واستراقهم السمع عندما يتخذون لأنفسهم مقاعد للسمع قريبة من السماء، وفي كلتا الصيغتين مبالغة في حفظ الله تعالى الكون من الشياطين والجن، حيث جعل الله حراسا من الملائكة، ورصدا دقيقا للشياطين المرجومين بالشهب، وفي هذا طمأنة لبني آدم الذين يتخوفون من هذا العالم المجهول، فجاء كلام الجن بهذه الصيغة المصدرية الدالة على المبالغة لتأكيد عجز الشياطين عن النفع والضر، وتوطئة لما سيأتي من قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن ١٠]؛ حيث ذيلت هي الأخرى بالمصدر من الفعل (رَشَدَ يَرْشَدُ) من الفعل اللازم، وهي آية تؤكد التحول في الزعم بمعرفة الجن والشياطين بأحوال البلاد والعباد، ثم التحول إلى الاعتراف بالعجز أنهم لا يدرون شيئا، ولا يجلبون نفعا، ولا يدفعون ضرا.

كما تمنح الحال (**هربا**) التي وقعت مصدرا منكرا بُعدا في التحول السياقي الذي يعطي معاني الاستمرارية، أي مهما استمررنا هاربين فإن ذلك لن يعجز الله، ويؤيد ذلك الفهم بداية الآية بالفعل (ظن) بمعنى (علم)، أي علمنا وتيقنا بالاستدلال والتفكر في آيات الله أننا في قبضته وسلطانه، لن نفوته بهرب ولا غيره، ومن هنا جاءت (هربا) مصدرا في موقع الحالية[45].

ومن هذه الأمثلة التي حللناها حول هذا الملمح الأسلوبي في صيغ الأسماء الصرفية يمكننا أن نبني تصورا مفاده أن الجنوح إلى المصدر بما يحتمل من معاني الاسمية خاصة في الفواصل يؤكد السمات العامة لكلام الجن المتمثلة في الثقة والقوة المستمدة من حالة التحوّل من الكفر إلى الإيمان، وهذا انعكس على لغة كلامهم، فاختاروا من الألفاظ ما يقوي هذه الحالة ويدل عليها.

ثانيا: الخصائص الصرفية لبنية الأفعال في كلام الجن

وردت الأفعال في كلام الجن إما مبنية للمعلوم أو مبنية للمجهول، مجردة ومزيدة، وكل صيغة من هذه الصيغ هي انبثاق من سياق الحالة الكلامية الخاصة بكلام الجن، وهي على التفصيل الآتي:

1- الفعل من حيث البناء للفاعل أو المفعول:

أ- المبني للمجهول:

وردت الأفعال المبنية للمجهول في سياقين يعبران عن حالة الجن الإيمانية وقت التكلم، الحالة الأولى: يعبر عنها الفعل (مُلئت)، وفيه اهتمام بالفعل دون الفاعل المعروف سلفا، والاهتمام بالفعل جاء متوافقا مع الاهتمام بالحدث في سياق هذه الحالة الكلاميّة، وهي حالة الحديث عن الخطيئة، ففيه تفريغ السياق اللفظي للأهم دلاليا والأقرب للحالة الكلامية. والحالة الثانية: فيها الفعل (أريد) الذي ورد في سياق التحدث

عن جهلهم بعلم الغيب بعد الاعتراف بالخطيئة، وفي هذا البناء للمجهول مع كون الفاعل معلوما ما يشير إلى الاعتراف بالجهل والتأدب مع الله تعالى[46].

ب- **المبني للمعلوم:**

غلبت الأفعال المبنية للمعلوم على الأفعال المبنية للمجهول، وذلك شكَّل ملمحا أسلوبيا واضحا في البنية الصرفية للأفعال في كلام الجن؛ لانسجام ذلك الملمح مع السياق الحالي الكلي، حيث يتحدث الجن عن أنفسهم والتحولات الحاليّة التي مروا بها، ويبرز فيها الفاعل (نا) الذي يمثل صوت الجماعة التي تتكلم برأي واحد، والحاجة الدلالية إلى هذا الضمير الذي أثَّر في النسق الصوتي والنسق الدلالي للكلام، ومن هذه الأفعال: (**سمعنا، آمنا، ظننا، لمسنا**).

ومن جانب آخر فقد وردت أفعال مبنية للمعلوم دون أن يكون الفاعل فيها (نا) الدالة على الفاعلين، وتلك حملت إشارات دلالية انبثقت من السياق الحالي، ونشير إلى أن الأفعال التي بنيت للفاعل سياقها الحالي كان يتطلب ظهوره، ومن ذلك الفعل (تعالى) المسند إلى الفاعل (جد ربنا)، ومنه (تقول) المسند إلى (الإنس)، ومن ذلك الفعل (يقول) المسند إلى الفاعل (سفيهنا)، والفعل (أراد) المسند إلى لفظ الجلالة (الله)، فبناء هذه الأفعال للمعلوم هو بناء من أجل الفاعل الذي يتطلبه سياق الحال، وينبني المقصد الكلي في الآيات الكريمة على ظهوره، فمثلا الفاعل المركب (جدّ ربنا) يتوافق مع الحالة الكلاميّة التي تبالغ في تعظيم ذكر الله استجابة للتحول من الكفر إلى الإيمان، وفي الفاعل المتعاطف (الإنس والجن) قيمة قصدية في سياق الحالة الكلاميّة، مرجعُها رتبة كلام الفاعل مع معطوفه، وما تحمله من دلالات قصدية تشير إلى أهمية هذا الترتيب في هذا السياق، فهو سبحانه يقول: (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا)، ويقول: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَال مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَال مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن ٦]، ففي الآيتين تقديم للإنس على الجن، وفي مواضع أخرى يقدم الجن على الإنس مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦]، قال محمد الطاهر بن عاشور: "وتقديم الجن في الذكر في قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ﴾ للاهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجن ليعلموا أن الجن عباد لله تعالى"[47]، والسياق الذي في كلام الجن هو العكس، فالاهتمام بعالم الإنس وإزالة ما ران على أعينهم من غشاوات وأساطير حول عالم الجن هو مناط الاهتمام في كلام الجن الذي أتى نصا يصور واقع الجن الحقيقي الذي هو غيب عن الإنس.

أما بناء الفعل (يقول) للمعلوم مع الفاعل (سفيهنا) فإن فيه إشارة إلى تقبيح فعل الكفر وما يلحقه من أفعال السفاهة، وقد كان لظهور هذا الفعل في سياق التعبير عن التحول من الكفر إلى الإيمان دلالة قصدية في تقبيح صورة إبليس، أو تقبيح كل سفيه في الجن، وذلك إذا أخذنا برأي من يقول إن السفيه اسم جنس لكل من يتبع إبليس[48].

أما بناء الفعل (أراد) للفاعل وهو لفظ الجلالة (الله)، فهو من قبيل إحداث إيقاع لفظي تقابلي، يجعل إرادة الخير مسندة لله، وإرادة الشر مسندة لفاعل غير ظاهر، وقد حكم هذا الإيقاع الحالة الكلامية التي انبثقت من الإيمان العظيم بالله، مما انعكس على أسلوب كلام الجن الذي جاء في مجمله متأدبا مع الله، حذرا في انتقاء الألفاظ التي لا تليق بمقام ذكره، فاللطيف في هذه التعبير السياقي أن الجن في أدب حديثهم

حين "ذكروا الشر لم يسندوه إلى الله تعالى، وحين ذكروا الرشد أسندوه إليه تعالى"[49]، وهذا ما يوافق الحالة الكلامية للجن.

2- بنية الأفعال من حيث التجرد والزيادة في كلام الجن

للفعل الثلاثي المجرد ثلاث صيغ صرفية في الزمن الماضي: (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ)، ويتفرع عن هذه الأبنية في زمن المضارع أبنية: فَعَلَ: (يَفْعَلُ – يَفْعِلُ – يَفْعُلُ)، فَعِلَ: (يَفْعِلُ – يَفْعَلُ)، وفَعُلَ: (يَفْعُلُ – يَفعِلُ)[50].

والأفعال التي وردت في سياق الإيمان والتسليم الكامل جاءت في أغلبها أفعالا مجردة، مثل: (سمعنا، يهدي، آمنا)، وفي ذلك إشارة إلى أن الإيمان المطلق وما تبعه من حالة التسليم والخضوع الكامل لله حالة روحية مبعثُها السكون والخشوع الداخلي الذي انعكس على بنية الأفعال، فظهرت في كلامهم مكتفية بمعناها المعجمي دون الحاجة للزيادة المعنوية المتحصّلة من الزيادة في المبنى، في حين نجد أن الأفعال المزيدة ظهرت في سياق التأكيد على استمرار قوة الإيمان والعهد بعدم الرجوع للكفر، وتعزز هذه الدلالات استخدام (لن) لتأبيد النفي، فتأتي متضامنة مع بنية الفعل المزيدة لتحوّل سياق الحالة الكلاميّة إلى سياق مؤكد تغلب عليه القوة الإيمانية المتمثلة في اليقين بثبات هذه الحالة ودوامها، وتمثل هذه الحالة الأفعال المزيدة: (نُشْرِكَ، نُعْجِزَ).

المطلب الثالث: السياق النحوي في كلام الجن

أبرز الظواهر النحوية المنبثقة من سياق الحال في كلام الجن تتمثل في: التقديم والتأخير والحذف والذكر والتكرار والتعريف والتنكير، وسنحاول بيان ذلك على النحو الآتي:

أولا: التقديم والتأخير

منحت حركة شبه الجملة بالتقديم في أغلب النسق النصي لكلام الجن أسلوبا خاصا، فتقدمت شبه الجملة في كثير من المواضع تقدما يأتي متوافقا مع القاعدة النحوية المعروفة التي تمنح لشبه الجملة حرية الحركة في نطاق الجملة دون قيود، وحرية الحركة يشير إليها النحاة بلفظ التوسع، ويعبرون عن شبه الجملة بمصطلحي الجار والمجرور والظرف إذ يقولون عن شبه الجملة: "الظرف والمجرور يتوسع فيهما توسعا لا يكون لغيرهما، ولذلك فصل بهما بين المضاف والمضاف إليه"[51].

وللسياق حق خرق القوانين النحوية والتصرف في التركيب من تقديم وتأخير وحذف ونفي، فشبه الجملة يتقدم في الرتبة، ويكون له صفة الصدارة؛ وقد تكون تلك الحركة واجبة نحويا، وقد تكون واجبة دلاليا بحسب متطلبات السياق ومقاصد الكلام، كما في حالات تقدّم شبه الجملة في كلام الجن، وفيما يلي أمثلة لتقديم شبه الجملة في كلام الجن:

– قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢﴾ [الجن 1-2]

في هذا التقديم لشبه الجملة "بربنا" على المفعول به "أحدا" عدة أبعاد تجعل من النسق النصي لكلام الجن معززا للسياق المقامي المنبثق منه، وهذه الأبعاد هي:

1- بعد إيقاعي.

2- بعد دلالي.

3- بعد تنسيقي.

أما البعد الإيقاعي فجاء تقديم شبه الجملة للمحافظة على الفاصلة القرآنية، وأما البعد الدلالي ففيه تعظيم لله وتقديمٌ لذكره على ذكر المفعول، ويعزز هذا التقديم المعنى المعجمي للفظة "رب" بما تحمله من معاني السيادة والتملك والرعاية[52]، كما يتحقق فيها من المعاني ما لا يتحقق فيما لو اختاروا لهذا التعبير في هذا السياق لفظا آخر من أسماء الله الحسنى.

وفي إضافة "نا" الدالة على المتكلمين إلى الرب ما يعطي هذا البعد الدلالي أبعادا أخرى؛ ففي هذه الإضافة ما يعزز سياق التسليم والخضوع والإيمان بالله والتودد إليه، كما أن هذا الضمير يخرج الكلام من نطاق الفردية والقلة إلى نطاق الجمعية ليكون حديث الجن معبرا عن طائفة أعجبت بالقرآن وما جاء فيه من هداية.

أما البعد التنسيقي ففي كلام الجن من خلال هذا النص القرآني نسق خاص يظهر فيه بجلاء التنبيه إلى الضمائر العائدة على الجن، وذلك بتقديمها على أجزاء أساسية في الجملة، وهو ما يحمل علامات دلالية غاية في الأهمية لهذا السياق.

ومن تقديم شبه الجملة في نص كلام الجن ما يظهر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدا﴾ [الجن ٩]، فهنا قُدم شبه الجملة (منها) على الظرف (مقاعد)، وهذا تنبيه على أن قعودهم في السماء لم يكن قعود المتمكن، وأنهم لم يحكموا السيطرة عليها، إنما هم يقعدون (منها)؛ أي في بعض أجزاء منها[53]، وهذا يؤكد ما كانت تشير إليه الحالة الكلامية من ضعف الجن وعدم تمكنهم رغم القدرات الخارقة في طبيعة خِلقتهم.

ومن تقديم شبه الجملة في كلامهم ما يظهر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطا﴾ [الجن ٤]، فهنا قُدم شبه الجملة (على الله) على (شططا) التي هي نعت لمصدر محذوف، أي (قولا شططا)، فحذف المنعوت وجاء بالنعت ليبين ضلال إبليس فيه أنه يذهب في قول الكذب والزور إلى أبعد حد، ولزيادة بيان جرمه قدم لفظ الجلالة، وهذا يجعل جرمه أكبر، وفي هذا التقديم بعد فني؛ إذ فيه رعاية الفاصلة التي جرت عليها الآيات.

وهذا الأسلوب نراه أيضا في قوله تعالى: (على الله كذبا)، فالجن ظنت أن أي قول على الله ينبغي أن يتحلى بالصدق، فتقديم لفظ الجلالة لتذكير المتحدث أن كلامه أمام من يعلم السر وأخفى، فعليه أن يكون صادقا، لكنّ آفة الكذب تعمي الكذاب على من يكذب، ويتحقق فيه رعاية الفاصلة أيضا.

ويتحقق هنا شكل من أشكال التكرار التركيبي، وهو تكرار يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون الجمل المكررة، فهي مفتاح لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم، ويحقق توازنا بين الكلام ومعناه[54].

ومن تقديمات شبه الجملة في كلام الجن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدا﴾ [الجن ١٠]، فهنا تُلقي الحالة الإيمانية للجن بظلالها على أجزاء هذه الجملة، فلاحظنا من جهة صرفية بناء الفعل (أريد) للمجهول في سياق الكلام عن الشر، ثم بناءه للمعلوم في سياق الكلام عن الخير، أما من الجهة النحوية فإنّ التعبير عن هذه الحالة الإيمانية استلزم التصرف في رتبة الكلام، ليمنح هذا المعنى

إيقاعا لفظيا مؤثرا، فقدموا شبه الجملة (بهم) على الفاعل للمحافظة على نسق ترتيبي واحد بين قسمي الجملة، فكما تلا الفعل (أريد) المقيد (بمن)، تلا الفعل (أراد) المقيّد (بهم)، وهذا بعد فني مهم لتنسيق أجزاء الكلام وترتيبه.

ويتكرر تقديم شبه الجملة ليمنح إيقاع الكلام التراتب الذي يحافظ على إيقاعه الصوتي ومتطلبات سياقه، وذلك في قولهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدا﴾ [الجن ١١]، فتقدم شبه الجملة "منا" على الخبر حافظ على عدة جوانب في هذا الجزء من الخطاب: الدلالة والنسق النصي والإيقاع؛ فأما الدلالة فتتمثل في تقديم الأهم في الخطاب، وما يجعل شبه الجملة هنا مهما هو الضمير "نا" العائد على الجن، وفي هذا محافظة على النسق العام للنص، وأما الإيقاع ففيه تلك النغمة الآتية من توالي المدات في عتبة كلامهم، وقد سبق تناول هذا الجزء الصوتي من هذه الدراسة.

وأما النسق العام لكلام الجن فإنه يتطلب مثل هذا التقديم الذي يمنح الرتبة في كلام الجن منهجية كلامية تعتمد تقديم كل ما له علاقة بالجن على بقية مفردات الجملة؛ ومن هنا يمكننا التوصل إلى نتيجة مفادها أن السياق الحالي ألقى بظلاله على رتبة الكلام عند الجن، فميّز هذا الكلام بأسلوب خاص يظهر بوضوح في تقديم شبه الجملة في أغلب كلامهم، وذلك لتحقيق دلالات مقصودة منبثقة من السياق الحالي العام وتحولاته الفرعية.

ثانيا: الحذف والذكر

الحذف والذكر من الأبواب التي تحتاج إلى طول تأمل، فهي على حد وصف عبد القاهر: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[55].

ومع أن حذف أجزاء من الجملة مطلب بلاغي مهم، فإننا نلحظ خفوت ظهوره في كلام الجن، فلم يرد إلا في مواضع محدودة ليست ذات تأثير في الغايات المقصودة من كلام الجن، ولا تتجاوز حد الإيجاز اكتفاء بالمذكور[56].

وموضع الحذف الوحيد الذي يشكّل فرقا دلاليا واضحا في كلام الجن هو الموضع الذي حذف فيه نائب الفاعل في مقابل ذكره في السياق نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدا﴾ [الجن ١٠]، وفيه دليل عجزهم عن معرفة أحوال أهل الأرض، غير أن هذا الدليل جاء متأخرا عن رتبة المحذوف في الجملة، وفي هذا مزيد من الاهتمام به، وعناية بإيقاع النسق النصيّ الذي يتميّز بتنوّع في بناء الجملة وتحولاتها التركيبية.

ولعل هذا الخفوت في تأثير الحذف يدفعنا للحديث عن الذكر بوصفه ضرورة دلالية يتطلبها هذا السياق، والذكر هو ما تقوم عليه القرينة، وهو الأصل في الكلام لما يضيفه من تثبيت للمعنى وتوطيد له في النفس[57].

والذكر يكون في مستويات بناء الجملة الأساسية والمكملة، ويتناوله البلاغيون عند الحديث عن الإيجاز والإطناب والمساواة، فيقول ابن الأثير: "الكلام لا يخلو من حالين: أن لا يزيد لفظه على معناه، وهو الإيجاز، أو يزيد لفظه على معناه، وهو التطويل"[58].

والجملة تنعقد في حدها الأدنى من المسند والمسند إليه، من المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية، ثم بعد ذلك تحدث الإطالة في عناصر الإسناد أو في مكملات الجملة، أو بعطف الجمل أو بتراتبها أو بتعاقب الجملة في محل المفرد في عناصر الجملة، وكل هذه الوسائل تضيف أبعادا دلالية للجملة[59].

من أنماط الذكر في كلام الجن

1- النسخ بالحرف

يُعد التقييد بإنَّ أو أَنَّ -على اختلاف القراءات- العنصرَ الأكثر ذكرا وبروزا في كلام الجن، ويفيد هذا التقييد التوكيد في النمط البنائي للجملتين الاسمية والفعلية، وهذا يشير بوضوح إلى أن السياق الحالي في كلام الجن كان يتطلب التوكيد والتفصيل؛ فكل العناصر المؤسسة لبناء الجملتين من الجهة النحوية هي عناصر مؤسسة للدلالة معنويا، وهذا الذي يؤديه الذكر في هذا السياق لا يؤديه الحذف.

2- ذكر الفاعل

بعض الفاعلين في كلام الجنّ يمثلون فرقا معنويا في النسق النصيّ كما في ذكر الفاعل (جدّ) وفي (سفيهنا)، فقد أحدثت هذا الألفاظ فرقا في دلالات النص تتجاوز حد الفاعلية، فكلمة (جد) تتجاوز الفاعلية إلى المبالغة في تعظيم الله تعالى، فالجملة كان من الممكن أن تكون: وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، لكنها طالت: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن ٣]، بالاعتراض (تعالى جد ربنا)، والاعتراض طال في وظيفة الفاعل، حيث جاء الفاعل مركبا إضافيا (جد ربنا) أي عظم ربنا، وهي إطالة تبالغ في تنزيه الله تعالى عن اتخاذ الصاحبة أي الزوجة، وعن أن يكون له ولد سبحانه وتعالى، وفي كل ذلك ما يظهر أبعاد السياق الحالي، ويؤكد أثره في في الكلام.

3- **ذكر المفاعيل**

إذا ما نظرنا في ذكر المفعول به في بعض جوانب كلام الجن فسنجد ما يجعل من ذكره ضرورة دلالية، ويخرجه من نطاق ما اصطلح النحاة عليه بالمكملات أو الفضلات، وهذه المفاعيل هي: (قرآنا، أحدا، صاحبة، كذبا، رهقا، حرسا، شهابا، رشدا، بخسا).

وتبرز أهمية ذكر هذه المفاعيل في النسق العام للنص من جانبين: الإيقاع الصوتي والبعد الدلالي، فأما الإيقاع الصوتي فهذه المفاعيل المنصوبة وقعت في كثير منها فاصلة قرآنية، وهذا حافظ على النسق الصوتي لكلام الجن الذي قلنا عنه إنه يتسم بالمد الصوتي، وقد تحقق هذا المد الصوتي من خلال ألف الإطلاق التي شكلت ملمحا صوتيا متميزا خاصا في هذه السورة كما أسلفنا في دراسة الفاصلة.

وأما الأبعاد الدلالية فإنها تتمثل في أن هذه المفاعيل تعطي وضوحا للصورة عن معتقدات الجن وكلامهم، وتميط اللثام عن هذا العالم الغامض على بني الإنس، فالمفعول به (شططا) جاء تفصيلا لحالة رفض الجن للفئة المخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى.

وفي ذكر الظرف (مقاعد) تفصيل لما يفعله الجن والشياطين من محاولة استراق السمع لمعرفة تصاريف القدر ليبلغوها إلى الكهان الذين يكذبون على بني الإنس ويخدعونهم. ويشير الفعل المضارع (نقعد) الدال على

التجدد والاستمرار مع المفعول على انتظام عمل الجن في هذه الوظيفة رغم ما في السماء من ملائكة تمثل حرسا، ورغم ما في السماء من شهب ترجم الشياطين.

4- ذكر الحال:

يفيد ذكر الحال (هربا) -بوصفها مقيّدا للفعل (نعجزه)- خصوصية في هذا السياق؛ إذ تعزز معنى الاعتراف بالضعف، وتعزز خصائص كلام الجن المحمّل بكل معاني الضعف والعجز وقلة الحيلة، وهو هنا يتحمّل بمعاني الخوف من قدرة الله والاعتراف الضمني بالتوبة وعدم الرجوع لفعل التجسس.

كما أن ذكر الحال هنا يدفع بالسياق صوب التأثير الحركي بعد أن كان يعتمد في تأثيره على التأثير السمعي، وذلك بما تحمله الكلمة من مضامين الشتات والفرار والتشرذم في السماء، وفي هذا البعد التصويري ما يجعل من كلام الجن أقوى تأثيرا إذ ينقلنا إلى مستويات أبعد وجوانب أبقى في النفس، فكلمة (هربا)، متعلقة بمحذوف تقديره (هربا من الشهب التي ترجم من يسترق السمع).

ثالثا: التعريف والتنكير

من أسلوبية كلام الجنّ غلبة النكرة على المعرفة، وهذا مطلب مهم من متطلبات كلامهم، وذلك لما يحققه التعبير بالنكرة من غايات لا تتحقق للمعرفة؛ فالنكرات منها ما يفيد العموم ومنها ما يفيد التعظيم أو التهويل، فالمعرفة والنكرة يتعلق كل واحد منهما بأسرار بلاغية، والمعرفة ما دل على معين في جنسه، والنكرة ما دل على شائع في جنسه، وللنكرة دلالات متنوعة مثل التعظيم والتحقير والتكثير والتقليل، بحسب السياق الذي جاءت معه، والذي يبرز النكرة من المعرفة التعيين والشيوع وعلم المخاطب والإشارة لخارج[60].

وهذا واضح في استخدام نكرات مثل "**قرآنا**"؛ ففيه دلالة على التعظيم، فهذا المقروء لا يشبه كلاما آخر، والنكرة في "شططا" تنكيرها يحمّل المفردة أبعادًا أعمق من معناها المعجمي الذي يعني شدة البعد في المكان؛ ليبين حالة الغلو في الكذب الذي كانت الجن تفتريه على الله تعالى، فهم يقولون على الله قولا منكرا وبعيدا عن الحقيقة، ويحمل التنكير هذه الكلمة بعدا شعوريا عاطفيا يجعلها تتعاضد معه وسائل لغوية أخرى مثل الخصائص الصوتية ورتبة الكلمة في الجملة، فالنكرة هنا تجعل المعنى الدلالي للمفردة عامّا يتضمن كل أشكال الافتراء على الله.

ومثلها كلمة (كذبا)؛ فإن تنكيرها يفيد العموم والشمول، أي أنهم لم يكونوا يتوقعون أن تقول الجن أي كذب على الله بداية من أدنى درجات الكذب إلى أعلاها جرما وافتراء، مهما اختلف المقام وتنوع السياق.

ويأتي التنكير في كلام الجن في سياق الذم، مثل كلمة (رجال) التي جاءت منكرة مرتين "رجالٌ" و"رجالٍ"، وفيها ما يدل على أن كلام الجن في هذا السياق لم يكن عاطفيا، إنما هم متصفون أيضا بدقة التعبير والموضوعية في الوصف، حيث يدل تنكير لفظة "رجال" على التحقير والعجز وقلة الحيلة والذلة.

وكلمة "رهقا" المنكرة أتت أيضا في سياق الذم؛ لتوحي بما يبذله الإنس من جهد كبير كي يصلوا إلى الجن رغبة في حل مشكلاتهم، ولكن الواقع أن الكهنة والسحرة والشياطين يزيدون تعبهم ونصبهم، وتأتي كلمة "رهقا" نكرة لتدل على ما وصلوا إليه من قمة التعب والإرهاق.

وتأتي النكرة لتمنح المفردة دلالات تغنيها عن اللجوء لوظيفة النعت، وهو ما يفرّغ السياق لنعوت أخرى أشد وهجا فيه، ومن ذلك قوله تعالى: (مُلئت حَرَسًا شديدا وشهبا)، فتنكير كلمة (حرسا) يمنح المفردة معاني التكثير بالنكرة، ما يجعل الكلمة مكتفية بذاتها في منح السياق هذه الدلالة لإفساح المجال لنعتها بكلمة أخرى في السياق أكثر حاجة لها، وهي كلمة (شديدا) التي جاءت نكرة أيضا، وهكذا صارت الصورة المرئية للسماء هي حشد الحرس الأشداء بأعداد كبيرة، وفي هذا إيجاز يساعد على تناسق إيقاع الكلام الذي سار على نسق ترتيبي واحد من بداية السورة.

كما تقابلنا كلمة (رشدا) منكرة لتضفي على السياق الذي وردت فيه العموم أيضا، فربهم حين يريد بهم الرشد فسيكون رشدا عاما شاملا لكل حياتهم وحالاتهم، وفي هذا توافق معنوي للسياق اللفظي الذي يتضمنه الكلام، حيث وردت هذه اللفظة في حيّز الاستفهام الذي يدل على قدرة الله في مقابل عجز الجن والشياطين.

وهكذا فإن التنكير في سياق كلام الجن حمّل المفردات أبعادًا أخرى إضافة لما أحدثته من تأثيرات في السياق، وهذه الأبعاد في مجملها أبعاد دلالية وصوتية متماشية مع النسق الكلامي للجن.

ونظرة في مواضع التعريف في كلام الجن تُظهر أيضا كيف يمكن أن ينبثق من السياق كلام متراتب وفق نسق كلامي يحمل خصائص لغوية محددة، ففي تعريف كلمة (الرشد) المسندة إلى الفعل (يهدي) ما يدل على التناسب مع سياق الحالة الكلامية، فالرشد المعني هو رشد كامل وتام، وهو ما ينسجم مع المعنى المعجمي للمسند (يهدي)؛ حيث تتضافر بنية الفعل والفاعل؛ ليتوافقا مع النسق الكلامي للجن وفق متطلبات سياق الحال.

ويحمل تعريف كلمة (ربنا) بإضافتها إلى (نا) المتكلمين البعد التعظيمي، ويعزز هذه العظمة الرتبة التي وردت فيها كلمة (ربنا)، كما تحمل البعد العاطفي الذي تضيفه الإضافة إلى ضمير المتكلمين.

وهذا التأثير الدلالي الذي تضيفه الإضافة المعنوية في "ربنا" هو ذاته الذي يضيفه التركيب الإضافي في "جد ربنا".

كما يتوافق تعريف "الإنس والجن" مع متطلبات السياق، وفي تكراره بصيغته المعرّفة دلالات قصدية، ففي سياق قوله تعالى: (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) جاء تعريفهم لاستغراق الجنس، فكل الإنس والجن داخلين في ظنهم، وفي تعريفهم في قوله تعالى: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) تخصيص مبني من (ال) الجنسية المخصصة، كما أن معنى التخصيص مستفاد من معنى "التبعيض".

وفي تعريف المفعول به (الهدى) أبعاد مهمة في سياق النسق الكلامي للجن، فيحمل تعريف اللفظة إضافة لمعناها المعجمي والتوافق مع السياق الكلامي بعدا معنويا غايته تعظيم القرآن ووصفه بالكمال، وهذا ما يمنحه تعريف (الهدى) بالألف واللام، ويوافق هذا التصرف اللغوي في الكلمة النسق النصي لكلام الجن الذي اتخذ مسلك الخضوع والإيمان والاندهاش بالقرآن والإقرار بأثره؛ حيث إنهم أطلقوا وصف الهدى على القرآن، وهو ما ذكره جل المفسرين؛ حيث بينوا أن المقصود بالهدى القرآن[61].

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي حاولت فيه أن أدرس أثر السياق غير اللفظي في أسلوب كلام الجن، كانت هناك نتائج أهمها:

1- أظهر أسلوب كلام الجن نمطا صوتيا متماشيا مع سياق الحال، خاصة في الفواصل التي غلب عليها المد الصوتي والمقاطع المفتوحة، وهذا جاء انعكاسا لصوت الاندهاش الداخلي الذي كان سببه الذهول من كلام الله.

2- حكم هذا الإيقاع الحالة الكلامية التي انبثقت من الإيمان العظيم بالله، مما انعكس على أسلوب كلام الجن الذي جاء في مجمله متأدبا مع الله، حذرا في انتقاء الألفاظ التي لا تليق بمقام ذكره.

3- الجنوح إلى المصدر بما يحتمل من معاني الاسمية خاصة في الفواصل يؤكد السمات العامة لكلام الجن المتمثلة في الثقة والقوة المستمدة من حالة التحوّل من الكفر إلى الإيمان، وهذا انعكس على لغة كلامهم، فاختاروا من الألفاظ ما يقوي هذه الحالة ويدل عليها.

4- منحت حركة شبه الجملة بالتقديم في أغلب النسق النصي لكلام الجن أسلوبا خاصا، فتقدمت شبه الجملة في كثير من المواضع تقدما يأتي متوافقا مع القاعدة النحوية المعروفة التي تمنح لشبه الجملة حرية الحركة في نطاق الجملة دون قيود.

5- غلبة أسلوب الذكر على أسلوب الحذف في كلام الجن.

6- غلبة التنكير على التعريف ليعطي صورة للجن أكثر شمولا وأدق في التفاصيل.

الإحالات والهوامش:

[1]- نشير هنا إلى دراسة د. سعاد بنت مصلح الردادي التي بعنوان: "دلالة البنية الصرفية في سورة الجن"، بحث بمجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية، المجلد 1، العدد 4، أكتوبر 2015، وإلى دراسة رحمى فطري بعنوان: "السجع في سورة الجن - دراسة في علم البديع"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سلطان طه سيف الدين الحكومية – جامبي، ودراسة د. مازن موفق صديق الخيرو، بعنوان: "التنبيهات الأسلوبية في سورة الجن"، بحث منشور بمجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 15، العدد 2، سنة 2020، ودراسة محمد ماهر عبد الرحمن، بعنوان: "مرجعية الضمير في سورة الجن - دراسة لغوية"، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، 2016.

2- انظر: لسان العرب مادة (س و ق)، 304/7.

3- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، 2001، ص391.

4- انظر: دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه: كمال بشر، دار الطباعة القومية، 1962م، ص50.

5- انظر بتصرف يسير: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1982 م، ص68.

6- دروس في الألسنية العامة، فريناند دوسوسير، تعريب: محمد الشاوش وصالح الفرماوي ومحمد عجيبة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1985، ص186.

7- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، 1994م، ص41.

8- السابق نفسه.

9- علم الدلالة، كلود جرمان وريمون لوبلان، ترجمة: نور الهدى لوشن، دار فاضل، دمشق، 1994م، ص44.

10- انظر: علم الدلالة - دراسة نظرية تطبيقية، فريد حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1426هـ، 2005م، ص159.

11- مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة لحديث، د. جاسم عبد المعبود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص141.

12- الاتساق في العربية، حازم حسوني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص11.

13- انظر: علم اللغة العام - الأصوات، كمال بشر، دار المعارف، مصر، ط5، 1979م، ص44.

14- انظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، دار السياب للطباعة والنشر، لندن، ط1، 2007م، ص57.

15- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، 339/8.

16- انظر: صحيح البخاري، ونص الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيها أن الجن استمعت على الحقيقة إلى القرآن الكريم، قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا - والله - الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا (إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: (قل أوحي إلي)، وإنما أوحي إليه قول الجن. هذه القصة كانت في أول البعثة.

17- انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 222/30.

18- يؤيد هذا الفهم أيضا الطاهر بن عاشور بقوله: "وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ... والظاهر أنه من منتهى ما حكي عن الجن من المدركات التي عبر عنها بالقول وما عطف عليه"، انظر: التحرير والتنوير، 236/30.

19- انظر: بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص 33 وما بعدها.

20- انظر: التحرير والتنوير، 222/30.

21- الكشاف، الزمخشري، علي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418 هـ- 1998م، 222/6.

22- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة - دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ط1، 2011.

23- انظر السابق، ص20.

[24]- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة، مصر، 2002م، ج1، ص175.

25- انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 2007م، ص22.

26 - انظر: علم أصوات العربية، محمد جواد النوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 2000م، ص65.

27 - انظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، ط2، 1950م، ص87.

[28]- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علاء حسن، المكتبة التوفيقية، 1/ 349.

29- فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين عبد الغني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط1، 1999م، ص65.

30- انظر: البرهان، الزركشي، 75/1.

31- السابق نفسه.

32- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط32، ص3720.

33- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، 204/2.

34- انظر: عتبات النص النقدي، محمد أبو عادل، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد 2، الجزء السادس، 2017 م، ص 5927.

[35]- علم الأصوات، كمال بشر، 514.

[36]- السابق، 513.

[37]- الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ج2، ص159.

[38]- السابق، ج2، ص163.

[39]- معجم العين، 355/3.

[40]- أمالي ابن الحاجب، 428/1.

[41]- انظر: الكتاب، سيبويه، 18/4.

[42]- البحر المحيط، 340/8.

[43]- انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الريان للتراث، د.ط، د.ت، 10/ 6802.

[44]- انظر: الجامع لأحكام القرآن، 6806/10.

[45]- انظر السابق، 10/ 6808.

[46]- تحدث المفسرون عن بناء الفعل للمجهول وما يعطيه من دلالات الأدب مع الله، فيقول ابن كثير: "وهذا من أدبهم في العبارة، حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عز وجل. وقد ورد في الصحيح: والشر ليس إليك"، تفسير ابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد وآخرين، مؤسسة قرطبة، مصر، ط1، 1421هـ، 2000م، ج14، ص150.

[47]- انظر: التحرير والتنوير، 13/28.

[48]- انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، فقد جاء فيه في معنى "سفهنا": قيل المشركون من الجن، قال قتادة: عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الإنس، 6802/10.

[49]- انظر: البحر المحيط، 8/ 343.

[50]- التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص27.

[51]- شرح التسهيل، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، مصر، د.ط، د.ت، 368/1.

[52]- تتبع معجم الدوحة التاريخي استعمال لفظ (رب) التي ترجع جذورها لعام 150 قبل الهجرة، وأطلقت على لفظ الجلالة "الله"، ثم تواتر استعمالها على معنى الملك والسيادة والرعاية منذ عام 50 قبل الهجرة. انظر مادة (رب) في معجم الدوحة على هذا الرابط: (dohadictionary.org).

[53]- يذكر ابن هشام خمسة معان لحرف الجر (مِن)، ومن هذه المعاني التبعيض الذي تفيده الآية التي نحن بصدد تحليلها، فمن معانيها "التبعيض، نحو (منهم من كلم الله)، وعلامتها إمكان سد "بعض" مسدها، انظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، 1964م، دار الفكر، دمشق، ص353.

[54]- انظر: التوكيد بالتكرار- دراسة دلالية، جهاد قادر مصطفى وعزة عدنان عزت، المجلة الأكاديمية لجامعة نوروز، 2017م، ص169.

[55]- دلائل الإعجاز، 146/3.

[56]- من أمثلة الحذف في كلام الجن قوله تعالى: 1- **(وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع)**، حيث حذف النعت، والتقدير: (مقاعد كائنة). 2- **(وأنه كان يقول سفهنا على الله شططا)**، فـ (شططا) نعت لمصدر محذوف، والتقدير: (قولا شططا). 3- **(وأنهم ظنوا كما ظننتم)**، فشبه الجملة (كما) نعت لمصدر محذوف؛ إذ التقدير: ظنوا ظنا كما ظننتم. 4- (ملئت حرسا)، فـ (ملئت) فعل ماض، والتاء للتأنيث، ونائب الفاعل مستتر تقديره (هي)، أي: مُلئت هي. 5- **(أريد بمن في الأرض)**، فنائب الفاعل مستتر. 6- **(كنا طرائق قددا)**، فقد حذف المضاف، والتقدير: كنا ذوي طرائق قددا. انظر: إعراب القرآن، محيي الدين درويش، 240/10 – 243.

[57]- انظر: من بلاغة القرآن، د: أحمد بدوي، دار النهضة، مصر، 1987م، ص118.

[58]- المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م، 145/2.

[59]- انظر: بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص30 وما بعدها.

[60]- انظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، السيد الإمام يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي اليمني، مراجعة وضبط: محمد عبد السلام اليمني، ص208، وانظر: شرح التسهيل جمال الدين بن مالك الأندلسي، تحقيق: عبد القادر عطا وفتحي السيد، 250/1، وانظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الهيئة العامة للكتاب، 1984م، ص 258.

[61]- انظر مثلا: تفسير القرطبي، 10/ 6802، وانظر: تفسير الكشاف للزمخشري، ص1147.

المصادر والمراجع:

1- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 2007.

2- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت.

3- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، 2002.

4- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الهيئة العامة للكتاب، 1984م.

5- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة، مصر، 2002.

6- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984.

7- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ط1، 2011.

8- تفسير ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى السيد وآخرين، مؤسسة قرطبة، مصر، ط1، 1421 هـ، 2000م.

9- التسهيل، جمال الدين بن مالك الأندلسي، تحقيق: عبد القادر عطا، فتحي السيد.

10- الاتساق في العربية، حازم حسوني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد.

11- التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

12- التنبيهات الأسلوبية في سورة الجن، مازن موفق صديق الخيرو، بحث منشور بمجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 15، العدد 2، سنة 2020.

13- التوكيد بالتكرار - دراسة دلالية، جهاد قادر مصطفى، عزة عدنان عزت، المجلة الأكاديمية لجامعة نوروز، 2017.

14- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الريان للتراث، د.ط، د.ت.

15- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب.

16- دلالة البنية الصرفية في سورة الجن، سعاد بنت مصلح الردادي، بحث بمجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية، المجلد 1، العدد 4، أكتوبر 2015م.

17- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، دار السياب للطباعة والنشر، لندن، ط1، 2007م.

18- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، 2001.

19- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

20- دروس في الألسنية العامة، فريناند دوسوسير، تعريب: محمد الشاوش، صالح الفرماوي، محمد عجيبة، الدارالعربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1985.

21- دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه: كمال بشر، دار الطباعة القومية، 1962م.

22- السجع في سورة الجن - دراسة في علم البديع، رحمى فطري، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سلطان طه سيف الدين الحكومية – جامبي.
23- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علاء حسن، المكتبة التوفيقية.
24- شرح التسهيل، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر، مصر، د.ط، د.ت.
25- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، السيد الإمام يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي اليمني، مراجعة وضبط: محمد عبد السلام اليمني.
26- عتبات النص النقدي، محمد أبو عادل، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد 21، الجزء السادس، 2017م.
27- علم أصوات العربية، محمد جواد النوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 2000م.
28- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1982م.
29- علم الدلالة، كلود جرمان وريمون لوبلان، ترجمة نور الهدى لوشن، دار فاضل، دمشق، 1994م.
30- علم الدلالة، دراسة نظرية تطبيقية، فريد حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1426هـ، 2005م.
31- علم اللغة العام، الأصوات، كمال بشر، دار المعارف مصر، ط5، 1979م.
32- فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين عبد الغني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط1، 1999م.
33- الفواصل أحد مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، محمد رجاء حنفي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 388، (1418، 1988).
34- الفواصل القرآنية، د. السيد خضر، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 1420هـ - 2000م
35- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط32.
36- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط الهيئة العامة للكتاب، 204/2.
37- الكشاف، الزمخشري، علي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418 هـ- 1998م.
38- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ط 1994م.
39- المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م.
40- مجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د: حنفي محمد شرف، ص45، من سلسلة كتب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الرابع، 1390هـ - 1970م.
41- مرجعية الضمير في سورة الجن - دراسة لغوية، محمد ماهر عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، 2016م.
42- مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة لحديث، د جاسم عبد المعبود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2007م.
43- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، 1964م، دار الفكر، دمشق.
من بلاغة القرآن، د: أحمد بدوي، دار النهضة، مصر، 1987م.